صور أوربية سريعة

بقلم عابر سبيل

السياحة على الطريقة الاميركية

اشتهر الاميركيون بحب التعجيل بالعمل والميل الى السرعة في انجاز الامور وعُرفوا بتطبيق هذه العادة المتأصلة فيهم على السياحة والسفر وقد شاما بينهم شيوعاً عظيماً فهم موكلون بفضاء الله يذرعونهُ ولكن بقطرات سكة الحديد والسيارات والطيارات وترى جاماتهم في مدن اوربا يتنقلون من مكان الى مكان

بآمد مرة وبرأس عين واحياناً بيا فارقينا

وطريقتهم هذه لا بأس بها لضيق الوقت والصدر وقد وافقني فجاريتهم عليها وحيث انهم أكثر سياح الامم عدداً فان شركات السياحة كشركة كوك والاميركان اكسبرس وسواها أعدت نظاماً متقناً في المدن المشهورة يستطيع السائح ان يرى بهِ أهم اعلامها وآثارها في أقصر ما يمكن من الزمان وبأقل ما يستطاع من النفقة وقد رأيت اقبالاً عظيماً على هذا النظام واستعنت بهِ لضيق وقتي

وكان مما ساعدني على فهم ما تقع عليهِ العين بهذه السرعة ان معظمهُ مما سبق ان عرفتهُ من درس التاريخ في الصبا ومن المطالعة بعد ذلك ومن رؤية صور المشاهد فيكفي بعد هذا كله ان يلقي المرء نظرة على المنظر فيعرفهُ ويتذكر تاريخهُ ومن شاء زيادة الشرح فعنده كتب السياحة وهي مفصلة جلية محلاة بالصور والرسوم شاملة لكل ما يهم الاطلاع عليهِ من مناظر أوربا بلاداً بلاداً ومدينة مدينة

ومن محاسن هذه الطريقة ان السائح يستطيع أن يرى عدة بلدان ومدن في وقت قصير فترتسم على لوحة ذهنهِ صور متعاقبة للمدن المشهورة والمناظر التاريخية والمشاهد التي أصبحت اسماؤها أشهر من نار على علم ويهون عليهِ موازنة أعلام العواصم الكبيرة والمقابلة بينها وتعيين مراتب حسنها ونظامها وابهة صروحها ومحاسن آثارها وسعة شوارعها وميادينها فيرى في ذات يوم قبر نابوليون العظيم في كنيسة الانفاليد بباريس ويقف خاشعاً امامهُ ثم يذهب الى ملمايزون من ضواحي باريس فيزور بيت جوزفين ويرى اثاثها وتحفها وصورها وسريرها وكرسي نبوليون ومكتبه والسرير الذي مات عليهِ في جزيرة القديسة هيلانة وبعد ايام غير كثيرة العدد يدخل كنيسة الآباء الكبوشيين في فينا الجميلة وينحدر

الى سردابها الكبير فيقف حزيناً امام تابوت البرونز الذي يحوي رفات فرنسوى بونابارت ملك رومية ونجل نبوليون المعروف بفرخ العقاب او الايجلون والى جانبه تابوت آخر يضم رفات والدته زوجة نبوليون الثانية وكريمة امبراطور النمسا . وفي خلال اسبوعين يطوف في قصر فرسايل العظيم الذي بناه لويس الرابع عشر وتركهُ ارثاً مجيداً لفرنسا ويزور قصور بوتسدام الالمانية التي أريد ان تكون مضارعة له وقد صيغت بالصبغة الفرنسوية حتى في ما حوت مكتبها الصغيرة من الكتب والوثائق الخطية التاريخية

ولكن لهذه الطريقة عيوباً لا تخفى على اللبيب فقد يرى المرء أعظم اعلام العاصمة او المدينة ويطوف بالسيارة في شوارعها الكبرى وميادينها ويسمع شرح الدليل ويبتاع مجموعات الصور ولكن اذا قصرت اقامتهُ في تلك العاصمة لا يستطيع ان يحيط بما يسميه الافرنج «الجو» وما يحسن بنا ان نسميه «الروح» فقد يقيم المرء في باريس أسبوعاً يرى في خلاله الكنائس والقصور والمجالس ودور الكتب والجامعات وادارات الصحف والبنوك والمتاحف والمصانع والملاهي والشوارع المشهورة وغابة باريس العظيمة الى آخر ما اشتهرت به مدينة النور ولكنه يخرج منها ولا يزال يعوزه معرفة روح المدينة الحق الذي لا يتجلى لعين الرائي على جناح السرعة

وقد كنت أشعر بهذا النقص كلما غادرت مدينة من المدن العظيمة كباريس ولندن وبرلين وأعجب للذين يتاح لهم ان يطيلوا الاقامة في مدينة منها كيف يقبلون ان يقضوا أيامهم في اتجاه واحد فاما اللهو واما التسلية واما العمل التجاري او الادبي في حين ان مدينة كباريس تشبه فص الالماس يكتسب بهاؤه ولمعانه لا من سطح واحد من سطوحه الكثيرة بل من مجموع هذه السطوح. وكذلك المدينة العامرة من هذه المدن الاوربية فن حسنها لا يأتيها من ناحية واحدة بل ان هذا الحسن يظهر على أتمه لمن يستطيع الاحاطة بجميع مظاهرها ومجالي الحياة فيها على تفاوت في مراتبها طبعاً فقد يكفي ان يشهد التمثيل في الاوبرا ليلة واحدة ولكن لا يكفي ان يزار متحف اللوفر زيارة واحدة لما حوى من التحف والطرف وعجائب الفنون التي يحق للبشر ان يباهوا بها

ولكن أهم من هذا كله ان يستطيع السائح اختراق الظواهر الى مخادع القلوب وصفحات الاذهان ليتمكن من معرفة طبائع الشعب الذي يزور بلاده ويكوّن فكرة صحيحة عنه ولا يرتكب مثل الخطأ الذي يرتكبه كثيرون من السياح عن بلاده فينقلون عنها ويروون من أخبارها ووصفها ما قد يطابق الواقع وما لا يطابقه فانه مهما علت مرتبة المتاحف والصور والتماثيل والدمى ومهما كبرت قيمة الصروح والشوارع والميادين فان النفس البشرية

تظلُّ أسمى مكاناً وأرفع قدراً ولها المقام الاول فهي الخالقة المبتكرة وهذه الاشياء الاخرى مشتقة منها ومتفرعة عليها وهي ثمرة من ثمار جهدها

ولكن العالم مصاب بداء العجلة وقد سرى هذا الداء في كل مكان وكنت في جملة الذين أصيبوا به فزرت فرنسا وانكلترا والبلجيك والمانيا وتشكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرا وايطاليا وأقمت في عشرين عاصمة ومدينة تفرجت عليها كلها في أقل من شهرين وتمَّ ذلك كله على طريقة السياحة الاميركية وبواسطة شركة كوك الانكليزية التي اقتبست هذه الطريقة واتقنتها أيما اتقان

في متحف جلوزل

وهذه المدن العشرون لا تشمل جلوزل

وجلوزل هذه حديث طويل خلاصته اني كنت أطالع في مصر أخبارها في جريدة الديلي تلغراف الانكليزية لمكاتبها الباريسي وكيف انهم عثروا في جوارها — ولم أكن أعرف موقعها بالضبط — على آثار بشرية قديمة لعصر من العصور التي هي قبل التاريخ المعروف وان علماء فرنسا وسواها منقسمون بين معدق لصحة الاكتشاف ومكذب له يقول ان المكتشف مزور صنع هذه الاشياء بنفسه وادعى انه أخرجها من جوف الارض

ووصلت الى فيشي مستشفياً وملتمساً للراحة ولقيت هناك رفاقاً واصدقاء جعلوا الاقامة في تلك المصحة من ألذ ايام الرحلة كلها وأحاطوني بعنايتهم وعطفهم وكنا نركب السيارات الكبيرة ونتنزه في ضواحي المدينة وقرى ولاية الاوفرن وهي من أجل بلدان الله وقد زادتها عناية سكانها حسناً على حسنها الطبيعي . وفي ذات يوم قرأت في اعلان من اعلانات النزهة بالسيارات ان واحدة منها تشمل جلوزل فسردت القصة للرفاق ودعوتهم الى زيارة القرية تشبهاً برجال العلم ونصراء البحث والتحقيق فلبوا الدعوة عن طيب خاطر وكنا خمسة من الشرقيين القليلين الذين يعرفون جلوزل هذه

وزرنا المتحف ودفع كل منا رسم الدخول اليه وهو ٤ فرنكات اي نحو ٣٢ مليماً وهو عبارة عن غرفة كبيرة في بناء عزبة يحيط بها اكوام القش والسماد وترعى حولها المواشي والنعم وقد سدوا على جدران الغرفة من الجهات الاربع رفوفاً من خشب عادي صفوا عليها الاواني والقطع والدمى والمواعين التي يقال انها أخرجت من جوف الارض في مكان رأيناه محفوراً في الغابة المجاورة للمزرعة وهو في مطبق من الارض

وهذه الاواني والقصاع والمواعين والقطع والطوب ونحوها مزخرفة بصور حيوانات ومناظر ونقوش تشبه بعض صور الهيروغليف المصري وهي متفاوتة الحجم ومختلفة الاشكال

والعلماء مختلفون فيها فبعضهم يؤيد مكتشفها ويرى انها قيمة انثربولوجية وتاريخية عظيمة وآخرون يجاهرون بان الرجل مزور محتال ويقولون انه صنعها تضليلاً للعلماء وحبًّا بالشهرة والربح المادي . وقد احتدم الجدال بين المكتشف وخصومه وشد انصارُه أزرَه وطبع الفريقان رسائل وكتباً شتى في الموضوع بعضها معروض في المعرض نفسه

ولا يسع من لم يتعمق في هذا البحث الا ان يقول انهُ اذا كانت هذه الاشياء قد اخرجت فعلاً من جوف الارض فهي من أعظم ما استخرج الباحثون والمنقبون من مصنوعات البشر من الوجهة التاريخية اما اذا كان الامر غير ذلك فالرجل الذي ادعى اكتشافها من امهر المحتالين

وعلى كل حال فقد زرنا جلوزل واطلعنا على هذه المجموعة التي صارت حيرة العلماء في فرنسا وسواها ويجدر بكل من يزور فيشي للاستشفاء والنزهة ان ينتهز فرصة وجوده فيها لمشاهدة متحف جلوزل وحفرياتها فانها من المناظر الفذة في العالم

عنب الملوك

وفي لندن اشترينا رطلاً من عنب الملوك بثلاثين غرشاً مصرياً اي ان صديقي اشتراهُ

وبيان ذلك ان في ظاهر العاصمة البريطانية قصراً فخماً اسمه همتن كورت بناه الكردينال ولسي وأحكم بنيانه واجاد في زخرفته واتقانه وانشأ حوله حدائق وخمائل مساحتها نحو ٤٥ فداناً ولما شعر بان عقارب الغيرة اخذت تدبُّ في صدر ملكه قدمه اليه هدية

وأخذني صديقي في يوم احد في نزهة في نهر التايمز وزرنا القصر وهو عندهم بمثابة قصر فرسايل لباريس ولكن فرسايل اضخم وأعظم فدخلنا الغرف المفتوحة للجمهور وفيها مجموعات نفيسة من الصور والمطرزات والاثاث القديم اما بقية القصر فيقيم فيه بعض الكبراء من غير ذوي اليسار معونةً لهم من صاحب التاج

وبعدما فرغنا من الزيارة واردنا الخروج انتحى صديقي باطريقاً غير طريق الباب الكبير وبعد قليل ابصرت كرمة او (دالية) كبيرة ضخمة الجذوع وقد عرشوا لفروعها عروشاً مما يسمى في الشرق «الجلون» وهو سقف كبير جدًّا من الحديد او الخشب في شكل الرقم ٨ بانفراج كثير في الزاوية وفوق هذا الجلون غطاء من الزجاج يقي الكرمة وثمرها من فعل البرد والمطر

ووقعت بصري فاذا عناقيد العنب الاسود تتدلى من هذه الكرمة عشرات ومئات وهي من ذات الحب الكبير . ثم رأيت صديقي يدنو من سيدة كهلة واقفة بجانب مائدة وعلى المائدة سلال من القش المجدول في كل منها مقدار من العنب تبين لي بعدئذٍ انهُ رطل فاشترى صديقي سلة من السلال . ورأيتهُ يدفع ثمنها ستة شلنات او نحو ثلاثين غرشاً وعاد اليَّ يقول هذا عنب الملوك وقد غرس هذه الكرمة ملك من ملوك هذه البلاد وهم يحرصون عليها حرصاً

شديداً ويعنون بها اشد عناية شأنهم في كل مايتصل بتاريخهم وفنان ملوكهم وامرائهم وعظمائهم

وحملنا سلة العنب الى المدينة وأكلنا منها بعد العشاء واخذت ما بقي معي الى الفندق ولكني لم آكله لانحراف طرأ على صحتي فاعطيته لخادمة الفندق وافهمتها المصدر الذي جيء به منه فاكبرت أمره ووعدت ان تأخذه الى أهلها هدية فاخرة من عنب مولك انكلترا

وعلمت بعد ذلك ان هذا الثمن ليس فاحشاً وان في انكلترا أنواعاً من العنب الفاخر الذي يقطف من كروم تعيش في بيت من الزجاج يباع الرطل منه بخمسين غرشاً وله زبائن يشترونه ولا يجدونه غالياً كما نجده نحن الذين اعتادوا ان يشتروا رطل العنب الجيد في مصر بقرش وفي لبنان باقل من نصف قرش

في سبعة ملايين

وأردنا في لندن النزول الى محطة من محطات سكة الحديد التي تسير تحت الارض ويسمونها في انكلترا الانبوب أو الماسورة وكانت هذه المحطة عميقة جداً ولها سلم متحرك يصعد جزء منهُ بالركاب الخارجين من المحطة وينزل جزء آخر بالركاب الداخلين اليها وأخذ صديقي يشرح لي كيفية السير به ويوصيني ان اضع قدمي اليسرى عند الوقوف عليه وعند الانتقال منه الى الارض في نهاية الدورة لاني لم أكن قد جربته قبل ذلك سوى مرتين في مخزن الجاري لافايات باريس وفي مكان بلندن وكنت بالطبع منصرفاً بكل قواي الى الموضوع أتوقع الوصول الى النهاية لأعمل بما اسدي اليَّ من نصح وفيما انا كذلك اذا بامرأة لاح لي من كلامها بعد نظر انها قروية والظاهر انها خطت الى السلم وخانتها اعصابها لانها لم تألف هذه الحركة فاخذت تصيح قائلة « لا اقدر لا اقدر » ثم امسكت بذراعي اليمنى كمن يخشى من السقوط فضحكت وقلت لها بالعربية ان في لندن سبعة ملايين من الخلق يعرفون كيف يستعملون هذا السلم أفلم تستحيي معونة غيري وأنا لا أقلُّ عنك جهلاً بشأنها. وضحك صديقي مقهقهاً وشعر احد الانكليز بجانبي بارتباكي فاسرع الى المرأة وأمسك بذراعها وهدأ روعها ولكنها ظلت مرتعبة حتى خرجت من السلم الى ارض المحطة وهناك تنفست الصعداء شاكرة الله على خلاصها

ثم ألفت هذه السلالم كما ألف المرء كل شيء غريب بعد ما تتكرر مشاهدتهُ لهُ أو استعماله اياه

وسأعود الى الكلام عن ارتقاء الصناعة الاوربية فانهُ من أعظم مميزات بلدان الغرب على بلدان الشرق هذا اذا ضربنا صفحاً عن تأثيره الخلقي والاجتماعي والفني في تلك الشعوب ولاسيما التي احرزت قصب السبق في الصناعات الكبرى

خليل ثابت

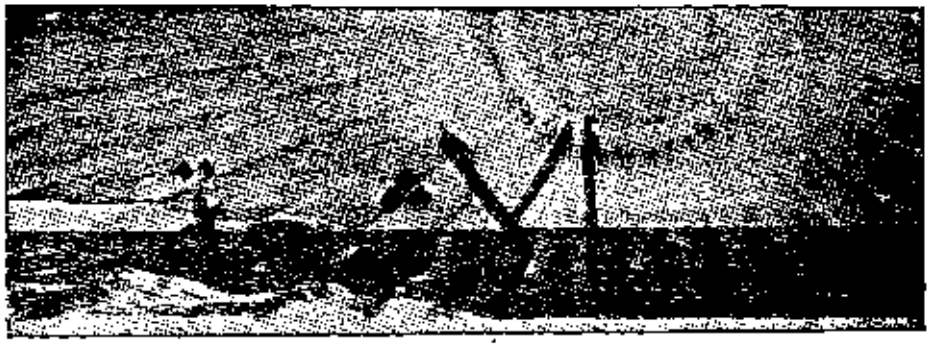

حقائق جديدة

اشرنا في المقالة الماضية الى اثر الاشعة في النباتات والحيوانات وارتباط بعضها بتحول الصفات وفعل الغدد ومقاومة الامراض وذكرنا طرفاً من البادىء العلمية المعتمد عليها في تقسيمها وطول امواجها ولما كان هذا الموضوع من المباحث العلمية العملية التي تهم كل انسان تهمه صحته رأينا ان نوالي الكتابة فيه رغبة في تعميم الفائدة ومجاراة العلم

لقد اسفرت المباحث العلمية في الاشعة وارتباطها بضعف الصحة عن كشف حقائق جديدة تحل بعض المعميات الصحية . منها ان المتقدمين في السن قد يصابون بنوع من الكساح — وهو مرض يصاب به الاطفال عادة — اهم مظاهره ضعف عضلاتهم وتهدلها والاعياء الحبي وسوء الهضم . وافضل الوسائل لشفاء هذا الاعراض التعرض للنور الطبيعي او النور الصناعي الذي يحتوي على الاشعة الفعالة وتناول زيت السمك وغيره من المواد التي عرضت للاشعة التي فوق البنفسجي فخزنت فيها . وخلاصة ذلك ان الجسم ينقصهُ فيتامين (د) فتعرضهُ لنور الشمس الطبيعي او لنور المصابيح الكهربائية الخاصة يولد هذا الفيتامين في الجلد والدم وتناولهُ زيت كبد القدّ والاطعمة الاخرى يجهزه بهذا الفيتامين

وقد ثبت ايضاً ان المصابين يدخل في عقولهم تسهل العناية بهم في البيمارستانات اذا عرّضوا لنور الشمس كلّ يوم . وبحثٌ آخر اثبت ان ذكاء التلاميذ في مدرسة للاطفال تضاعف بعدما تعرض التلاميذ اسبوعاً كاملاً لنور الشمس . وجرى بحث آخر في كلية كونكورديا فاتضح منهُ ان المكروبات في غرفة من غرف التدريس زجاجُ شبابيكها من النوع الخاص الذي تنفذهُ الاشعة التي فوق البنفسجي اقلُّ جداً من المكروبات في غرفة اخرى زجاج شبابيكها عادي . وبعد تعريض اربع غرف مدة معينة لنور الشمس احصيت المكروبات فوجدت نسبة المكروبات بينها كما يلي : في غرفة لا يدخلها نور الشمس مطلقاً كان مجموع طوائف المكروبات ١١ يقابلها ٨ في غرفة زجاج نوافذها من الزجاج العادي و ٥ في غرفة زجاج نوافذها من النوع المعروف « بالفيتاجلاس » وهو الذي تنفذه الاشعة التي فوق البنفسجي و٣ في غرفة يدخلها نور الشمس مباشرة من غير ان يعترض سبيلهُ زجاجها . وهذه الارقام نسبية

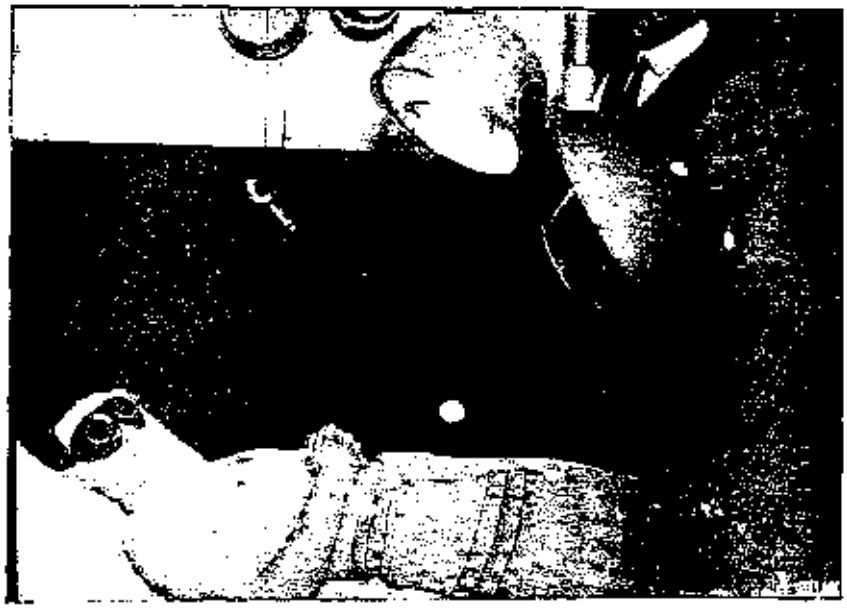

صورتان تبيّنان اقبال الاطفال والمتقدمين في السن على التعرّض للاشعة
باشراف اطباء وممرضات توفروا على هذا الضرب من العلاج

مقتطف فبراير ١٩٣٠ مقالة "الاشعة والحياة"

سكان اسلندا ونور الشمس

ومن الادلة الجديدة على فائدة نور الشمس نتائج بحث اجري في صحة سكان اسلندا وجزائر فاروز المجاورة لها . فسكان اسلندا لايصابون مطلقاً بالكساح او ما هو من قبيله مع ان سكان جزائر فاروز التي لا تبعد اكثر من ٢٠٠ ميل عن جزيرة اسلندا يصابون بالكساح الحادّ . ولما كان غذاء الشعبين واحداً تقريباً فالفرق بينهما يسند في الغالب الى نور الشمس الذي يتمتع به سكان اسلندا ويحرم منهُ سكان جزائر فاروز. ذلك أن جزائر فاروز تعترض « تيار الخليج » الدافيء ولذلك تغطيها في اكثر ايام السنة سحب وضباب يمنع عن سكانها نور الشمس ويحجب خصوصاً اشعتهُ التي فوق البنفسجي. ففي فصل الصيف لا يزيد عدد الايام المشمسة على ستة ايام او ثمانية . وقد ثبت من احصاء دقيق ان اكبر بلدة في هذه الجزائر لا تتمتع باكثر من ٩٠٠ ساعة من نور الشمس على مدار السنة . اضف الى ذلك ان النهار الصيفي في اسلندا والشفق الذي يتلوهُ يستمرُّ الى ما بعد الساعة العاشرة ليلاً والقياس يدلُّ على ان نور الشفق هذا يحتوي على مقدار كبير من الاشعة التي فوق البنفسجي لذلك قالت اللجنة الطبية التي عينت لدرس صحة الاسلنديين : « تلا لحجب أن تملو ابناء الاسلنديين حمرة الصحة . فاصفرار بشرتهم في اثناء فصل الشتاء الطويل يجعلهم اشدّ تأثراً بالمقدار الكبير من الاشعة التي فوق البنفسجي الذي في جوهم ربيعاً وصيفاً »

ومن الحقائق الجديرة بالنظر التي اسفر عنها بحث هذه اللجنة احتمال وُجوب الجمع بين تناول زيت كبد الحوت والتعرض للاشعة التي فوق البنفسجي لشفاء الكساح . فسكان جزائر فاروز كسكان اسلندا يأكلون مقداراً كبيراً من اكباد سمك القدّ وهي مصدر الزيت المعروف «بزيت السمك » ولكن ٥٥ في المائة من اطفال فاروز او اكثر يصابون بالكساح لعدم تعرضهم للاشعة التي فوق البنفسجي تعرضاً كافياً

***

وقد اخذت هذه المباحث الجديدة تقلب آراء المهندسين في اساليب بناء البيوت لانها تقضي